المجلة العراقية للبحوث الإنسانية والإجتماعية والعلمية
Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 - Electronic ISSN 2790-1254
العدد11A 2023 كانون الاول
No. 11A December 2023

مساندات نساء الرسول (ص) النفسية والاقتصادية واثرها في نصرة الاسلام (السيدة خديجة عليها السلام أنموذجا)

م. م زينب نزار عبد الامير
جامعة القادسية- كلية التربية- قسم التاريخ
zainab.nizar@qu.edu.iq
رقم الجوال: 07826533166

الخلاصة:
يتناول هذا البحث الحديث عن السيدة خديجه بنت خويلد (عليها السلام) زوجة النبي (صلى الله عليه واله وسلم) ووالدة السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) وهي اول امراه تزوجها واول الخلق اسلام لم يتقدمها الرجل ولا امراه غير علي بن ابي طالب (عليه السلام) قسم هذا البحث قسم الى مقدمة و ثلاثة مباحث احتوت المقدمة على عرض لنسب ونشأة السيدة خديجة عليها السلام وتناول المبحث الاول مكانة السيدة خديجه بين اشراف مكة واثر البيئة عليها ومنزلها ومنزلتها اما المبحث الثاني فقد شمل المكانة الاقتصادية للسيدة خديجه مكة وتجارة الرسول في مالها وكيفية اثر ذلك في الاسلام اما المبحث الثالث فتناول اسلامها وزواجها بالرسول ومؤازرتها ودعمها ماديا ومعنويا للنبي محمد صلى الله عليه واله وسلم، ومن ثم الخاتمة ومجموعة من المصادر والمراجع.

الكلمات المفتاحية: الدور الريادي للسيدة خديجة عليها السلام ، تجارة الرسول، نساء النبي

The psychological and economic support of the Prophet's (PBUH) women and its impact on supporting Islam (Mrs. Khadija, peace be upon her, is an example)

A. L. Zainab Nizar Abdel Amir
Al-Qadisiyah University - College of Education - Department of History

Abstract:
This research deals with the story of Mrs. Khadija bint Khuwaylid (peace be upon her), the wife of the Prophet (may God's prayers and peace be upon him and his family) and the mother of Mrs. Fatima Al-Zahra (peace be upon her). She was the first woman he married and the first of creation to become Muslim. No man or woman preceded her except Ali bin Abi Talib (peace be upon him). Therefore, this research was divided into three sections. The first section covered the lineage, upbringing, and status of Lady Khadija among the nobles of Mecca, the impact of the environment on her, her home, and her status. The second section included the economic status of Lady Khadija of Mecca and the Prophet's trade in her money and how that affected Islam. The third section dealt with her conversion to Islam and her marriage to the Prophet. And its financial and moral support and support for the Prophet Muhammad, may God bless him and his family, and then the conclusion and a group of sources and references.

Keywords: The pioneering role of Lady Khadija, peace be upon her, the Prophet's trade, the Prophet's wives

مقدمة البحث:

عرفت السيدة خديجة عليها السلام، بخديجة بنت خُويلِد، و بأم المؤمنين أيضاً، كونها زوجة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ووالدة السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام)، وهي أول امرأة تزوجها النبي محمد صلى الله عليه واله وسلم وأول الخلق إسلاماً بإجماع المسلمين لم يتقدمها رجل ولا امرأة غير علي بن أبي طالب

(عليه السلام)، وكانت من سادات قريش وأشرافها وتُدعى في الجاهلية الطاهرة ولقّبها النبي بالكبرى، وذكر التاريخ أنها ولدت حوالي عام 68 قبل الهجرة.[1]

تزوجها النبي ﷺ وهو في الخامسة والعشرين من عمره وقفت إلى جانب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مساعدةً ومعاضدةً حتى أنفقت ثروتها الطائلة في نجاح الرسالة وتحقيق الأهداف التي كان يرومها، وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) شديد الحب لها، ولم يفتأ يذكرها، ويثني عليها. وكان يردّ على من كانت تقول له إنّ الله أبدلك بخير منها: ((لا والله ما أبدلني الله خيراً منها، آمنت بي؛ إذ كفر الناسُ، وصدّقتني، وكذّبني الناسُ، وواستني في مالها؛ إذ حرمني الناسُ، ورزقني الله منها أولاداً؛ إذ حرمني أولاد النساء))[2].

توفيت السيدة خديجة عليها السلام في مكة قبل الهجرة بثلاث سنين عن سن ناهز الخامسة والستين على القول المشهور، فكانت وفاتها أحزنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ودفعته إلى أن يسمّي ذلك العام الذي توفي فيه ناصراه وحامياه (زوجته خديجة وعمّه أبو طالب (بعام الحزن، وأن ينزل عند دفنها في حفرتها، ويدخلها القبر بيده، في الحجون، وكان قد كفّنها برداء له، ثم برداء من الجنة،كانت السيّدة خديجة(سلام الله عليها) امرأة حازمة لبيبة شريفة، ومن أوسط قريش نسباً وأعظمهم شرفاً وأكثرهم مالاً، وقد كانت آزرت زوجها رسول الله(صلى الله عليه وآله) أيّام المحنة، فخفّف الله تعالى عنه بها[3].

وكان(صلى الله عليه وآله) لا يسمع شيئاً يكرهه من مشركي مكّة من الردّ والتكذيب إلّا خفّفته عنه وهوّنته، وبقيت هكذا تسانده حتّى آخر لحظة من حياتها.

للسيّدة خديجة(رضي الله عنها) مكانة ومنزلة عالية يغبطها عليها الملائكة المقرّبون، حتّى إنّ جبرائيل(عليه السلام) أتى إلى النبي(صلى الله عليه وآله) فقال: «يا محمّد، هذه خديجة قد أتتك فاقرأها السلام من ربّها، وبشّرها ببيتٍ في الجنّة من قصبٍ لا صخبٌ فيه ولا نَصَب»، فقال رسول الله(صلى الله عليه وآله): «يا خديجة، هذا جبرائيل يُقرئك من ربّك السلام»، فقالت خديجة: الله السلام ومنه السلام وعلى جبرائيل السلام[4]

وعن أنس بن مالك قال: «قال رسول الله(صلى الله عليه وآله): "خير نساء العالمين أربع: مريم ابنة عمران، وآسية امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمّد"».[5]

وعن النبي(صلى الله عليه وآله) قال: «كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلّا أربع: آسية بنت مزاحم امرأة فرعون، ومريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمّد».[6]

ـاسمها ونسبها

---

(1) ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تح: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، ط1، 1994،ج6، ص 78.

(2) ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري المعروف، الطبقات الكبرى، ت: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ، ط1، 1990،ج8، ص 13.

(3) العاملي، السيد جعفر مرتضى، الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت – لبنان، 1415ه – 1995م، ط4، ج2، ص 209.

(4) النيسابوري، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري، صحيح مسلم، تحقيق: أحمد بن رفعت بن عثمان حلمي القره حصاري - محمد عزت بن عثمان الزعفران بوليوي - أبو نعمة الله محمد شكري بن حسن الأنقروي، دار الطباعة العامرة – تركيا، 1334ه، ج7، ؛ البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، (دار ابن كثير، دار اليمامة) – دمشق، 1414ه – 1993م، ط5، ج7،

(5) البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب، تاريخ بغداد، تحقيق الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، 1422ه – 2022م، ج9، ص411 ؛ الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان ، سير اعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة للنشر، 1405ه – 1985م، ج2، ص117.

(6) الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت – لبنان، ط1،ج10، ص65 ؛ الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، 1422ه – 2002م، ج9، ص353.

هي خديجة بنت خُوَيلد،بن أسد، بن عبد العُزَّى، ابن قُصَي، من الذؤابة في قريش نسباً، وبيتاً، ومَحْتِداً، وشرفاً، يلتقي نسبها بنسب النبي صلى الله عليه واله وسلم في الجد الخامس : قصي بن كلاب قال ابن هشام:[1] كانت خديجة يومئذ أوسط نساء قريش نسباً، وأعظمهن شرفاً، وأكثرهن مالاً.[2]
وهي أقرب أمهات المؤمنين إلى النبي صلى الله عليه وسلم في النسب، ولم يتزوج من ذرية جده قصي غير السيدة خديجة .

-والدها

كان خُوَيلد بن أسد، من أشراف قريش، ومن كبار رجالها وذوي الوجاهة فيها ومما يدل على مكانته ووجاهته في قريش أنه كان في الوفد الذي أرسلته قريش إلى اليمن ليهنيء ملكها العربي سيف بن ذي يزن، عندما انتصر على الأحباش وطردهم من اليمن بعد عام الفيل بسنتين، أتاه وفد قريش، وفيهم عبد المطلب بن هاشم جد النبي النبي صلى الله عليه وسلم ، وأمية بن عبد شمس، وخويلد بن أسد، في ناس من وجوه قريش من أهل مكة، فأتوه بصنعاء في قصر ،له يقال له غمدان ويذكر انه توفي قبل حرب الفجار [3]

ولادتها ونشأتها:

ولدت السيدة خديجة بمكة المكرمة[4] قبل عام الفيل[5] الذي ولد فيه النبي بخمسة عشرة سنة[6] ، ونشأت عليها السلام في بيت تعلوه العفة والشرف والكرامة والاخلاق العربية الرفيعة الشريفة حيث أصبحت المثل الأعلى للإيمان بالله تعالى على الجزيرة العربية وما حولها التي تعج بعبادة الاصنام والأوثان [7]

المبحث الاول : أثر البيئة على السيدة خديجة (ع)

مكة المكرمة بيئة أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها ، ولمكة مكانة خاصة في القلوب، وأثر عظيم في حياة من عاشوا فيها ، وتأثروا بها ، ولقد كان لها أكبر الأثر في حياة السيدة خديجة (ع) ومكة حرسها الله ورعاها قديما، تاريخها غامض ، يذكر أن أول ما عرف عنها أنها كانت تقع في القديم في طريق القوافل العربية وغير العربية التي تعبر الطريق ، وهى قاصدة فلسطين وما جاورها من البلاد، أو آتية منها إلى اليمن أو متجهة إلى الشرق.[8]
وقد كانت القوافل تلجأ إليها للراحة بسبب ما كان فيها من العيون، ولم يكن العمران قد انتظم فيها، فكان رجال القوافل يجعلون فيها مضارب لخيامهم للراحة ولتبادل السلع وبهذا كانت محلة للتجارة، ومن المرجح أن إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام أول من اتخذها مقاما وسكنا ، ومكانا للعبادة ، وكانت قد اتخذت مقاما للعبادة أيضا من زمن بعيد وقبل أن يجيء إليها إبراهيم ومعه ابنه اسماعيل وأمه هاجر ، فيقيم بها بزمن طويل، ويلمح الآية الكريمة، التي جاءت على لسان إبراهيم عليه السلام في قوله سبحانه وتعالى ﴿**رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ**﴾[9] إذ يفهم من هذه الآية أن البيت كان موجودا قبل أن يفد إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام إلى مكة.

---

(1) هو أبو محمد عبد الملك بن هشام المعافري، من أشهر كتاب السير .المتوفى ٢١٣ هـ .
(2) المعافري، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، 1375ه – 1955م، ط2، ج1 .
(3) الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة بن الأزرق الغساني، أخبار مكة وما جاء فيها من الأثار، ت: رشدي الصالح ملحس، دار الأندلس للنشر – بيروت، ج1، ص149.
(4) حياة السيدة أم المؤمنين خديجة ص ١١ ، باقر شريف القرشي
(5) البغدادي، عبد اللطيف، فاطمة والمفضلات من النساء، مؤسسة اهل البيت للنشر والتوزيع، ص49.
(6) البغدادي، المصدر نفسه.
(7) حياة السيدة أم المؤمنين خديجة نقلا عن المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، مؤسسة الوفاء بيروت – لبنان، ج ٩١ ص ٢٢٤ .
(8) الجمل، إبراهيم محمد حسن، ام المؤمنين خديجة بنت خويلد المثل الأعلى لنساء العالمين، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، ص21.
(9) سورة ابراهيم، الآية ٣٧

وبهذا كان الحرم آمنا، يأمن من التجأ إليه، إلا إذا تعدى فيه بما أوجب حدا وقالوا في تسميتها مكة وهو المشهور من أسمائها؛ لأنها تَمُكُّ الجبارين أي تذهب شوكتهم

﴿**وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا**﴾[1] وقيل : لأنها تمك الفاجر أي تخرجه منها وقيل أيضا إنما سميت مكة : لأن العرب في الجاهلية كانت تقول : حجنا حتى نأتي مكان الكعبة فنمكّ فيه : أى نصفر صفير المكاء حول ، وكانوا يصفرون ويصفقون بأيديهم إذا كانوا بها.

وقيل: سميت بهذا الاسم : لأنها تَمُكُّ الذنوب أي : تذهب بها كما يمك الفصيل ضرع أمه فلا يبقى فيه شيئا وأيضا من أسمائها (بكة) قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ **إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ**﴾[2]

قال بعض الإخباريين: إنه بطن مكة وتشدد بعضهم فقالوا : بكة موضع البيت ، ومكة ما وراءه . وقال آخرون : لا ، والصحيح البيت مكة ، وما ولاه بكة ومن أسمائها (الباسة) لأنها تبس أي تحطم الملحدين .

وقيل : تخرجهم وأيضا تسمى أم القرى، إذ يخاطب المولى جل وعلا نبيه محمدا صلى الله عليه وآله وسلم فيقول: ﴿ **لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا**﴾[3] وتسمية مكة أم القرى ، وملاحظة الأمومة في رجوع أبنائها إليها يتفق تماما في قوله تعالى : ﴿ **وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا** ﴾[4]

فإليه يثوب الناس جميعا، كما يثوب الأبناء إلى أمهم، ويأمنون بجوارها ومكة أم العالم وقلبه ورأسه وهى كل ما تعطيه الأمومة والأولية من معان هي العالمية التي اصطبغ بها دين الإسلام[5] وتسمى البلد الأمين ، قال تعالى: ﴿ **وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ وَطُورِ سِينِينَ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ**﴾[6] والبلد الأمين هو مكة المكرمة.

ويأمر الله سبحانه وتعالى النبي صلى الله عليه وسلم أن يقول لقومه: ﴿ **إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ** ﴾[7] فأي تشريف أعظم من هذا، فلقد خصها الله سبحانه وتعالى بالذكر، وأضافها إليه ، فهي أحب البلاد إليه سبحانه وتعالى وأكرمها عليه ، وإشارته جل وعلا إليها اشارة تعظيم ، فهي موطن نبيه ، و مهبط وحيه ، ويكفى مكة فخرا على غيرها أن أقسم المولى سبحانه بها ، فقال جل من قائل: ﴿ **لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝** ﴾[8] ﴿ **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا** ﴾[9]

وقال القزوينى فى مكة : (وهى مدينة فى واد ، والجبال مشرفة عليها من جوانبها ، وبناؤها حجارة سوداء ملس وبيض أيضا ، وهى طبقات مبيضة نظيفة حارة فى الصيف جدا إلا أن ليلها طيب وعرضها سعة الوادى ، وماؤها السماء ليس بها نهر ولا بئر يشرب ماؤها وليس بجميع مكة شجر مثمر ، فإذا جزت الحرم ، فهناك عيون وآبار، ومزارع ونخيل وميرتها تحمل من غيرها بدعاء الخليل عليه السلام)[10]

ومناخ مكة حار ، فالحرارة تشتد فى أثناء النهار ، والرياح الساخنة تكاد تخمد الأنفاس ، وتصير الحجارة التى فرش بها مطاف الكعبة ، كأنه صفائح محماة حتى ليقول ابن بطوطة : (ولقد رأيت السقايين يصبون الماء عليها ، فما يجاوز الموضع الذى يصب فيه إلا ويلتهب الموضع فى حينه)[11].

ولقد كسا الله سبحانه وتعالى مكة حلة روحية تجعل القلوب تهوى إليها والنفوس الصافية تعشقها، يأتيها الناس من كل فج منفذين أمر الله الذى أمرهم بالحج إليها جماعات ووحدانا، راجلين وراكبين، رجالا ونساء

---

(1) سورة الفتح، الآية ٢٤ .
(2) سورة آل عمران، الآية ٩٦
(3) سورة الشورى، الآية 7
(4) سورة البقرة، الآية ١٢٥
(5) عبد القادر، مصدر سابق، ص ١٤
(6) سورة التين، الآية 1
(7) سورة النمل، الآية ٩١
(8) سورة البلد، الآية ١، ٢
(9) سورة إبراهيم، الآية ٣٥
(10) القزويني، زكريا بن محمد بن محمود، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر – بيروت، 2007، ص ١١٣
(11) ابن بطوطة، ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي، رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الأسفار، دار الشرق العربي، ص122

، يزيدون كلما زاد الخلق ، وكثروا عاما بعد عام ، استجابة من الله خليله إبراهيم عليه السلام حينما دعا الله ، فأجاب دعاءه . ﴿**رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ**﴾[1] ومكانة مكة فى قلوب العرب، تجعل أهلها دائما محل نظر واهتمام وعرضة للنقد، وبخاصة المرأة القرشية ، فلا بد أن تظهر بالمظهر اللائق ، لأن كل عربية تأتى لتحج ، ولتعيش في رحاب البيت العتيق تتخذ لها مثلا أعلى من نساء أهل مكة ولا شك في أن الذين أتوا إلى مكة أعجبوا بما تتحلى به نساء مكة من احترام الرجل القرشي لهن، ومشاركتهن للرجال في كثير الأمور، فلقد قدرها الرجل في تلك البقعة، وترك لها الحرية المقيدة بعادات وتقاليد الا البعيدة عن كل ما يشين، وعرفت المرأة ذلك، فكانت عالية الهمة شامخة الرأس، يحوطها الخلق الحسن، والمعرفة لما يجب عليها تجاه مجتمعها.

هذه هي مكة وهذه بيئتها، وللبيئة أكبر الأثر في حياة الإنسان فهي تضفى عليه مما وهبها الله الطبيعة، فتؤثر في طباعه وأخلاقه ومعاملاته وتجعله خاضعا لعاداتها وتقاليدها، تلبسه ثوبها، فيأتمر بأمرها، ويخضع لما تطلبه منه، فيصبح وكأنه جزء منها فسكان البلاد الباردة الذين عاشوا مع الثلوج والأمطار، وسيول الأودية والأنهار، في البرد الشديد، والعواصف والرعد والبرق، غير أولئك الذين عاشوا في السهول وعلى شواطئ الأنهار واعتدال الطبيعة واستمرار طلوع الشمس وإشراقها.

لا شك في أن طبائع هؤلاء تختلف عن أولئك في كثير من العادات، والتقاليد ووسائل طلب العيش والاستعداد الشخصي لمفاهيم الحياة وكذلك الذين نشأوا في الصحراء، وفى البلاد المشمسة الشديدة الحرارة وليس أمامهم إلا الرمال المذهبة، والجبال الشامخة العالية والحرارة القاتلة إنها تهب من يعيشون فيها الصبر على الشدائد، والتحمل الزائد، والكفاح المستمر، ومقابلة قسوة الحياة بالجلد، وتقبل عطائها بإيمان وطيد، حتى تنتهي الأزمات، فإذا تجددت، فالاستعداد لها موجود بلا كلل ولا ملل.[2]

وإذا كانت مكة تقع في منطقة حارة وحرارتها رهيبة أحيانا، إلا أن موقعها، وما حباها الله به تفوق غيرها ممن يعيشون في مثل طبيعتها وجدها .

فمكة تعتبر ميناء يقع في قلب الصحراء، فهي مرسى للقوافل التي تحمل التجارة من الشمال إلى الجنوب، ومن الجنوب إلى الشمال، ومن آسيا إلى مداخل أفريقية، فيجتمع الناس فيها من رجال ونساء مع احتفاظ المرأة المكية بكبريائها وعزتها وكرامتها، واحترام كل الواردين إلى مكة لشخصيتها كل ذلك ساعد على توسيع مداركها، وقوى من فهمها للأمور، وزاد من علمها ومعرفتها، فأصبحت في مجتمعها محترمة الرأي معززة الجانب، فأدلت بدلوها في الحياة العامة، وكان في مقدمتها حرفة الناس في ذلك الوقت وهى التجارة فلا عجب أن رأينا السيدة خديجة مثلا أعلى لهذه البيئة في كل ما عملت وكل ما أقدمت عليه، وكانت سيرتها الحسنة مثلا يضرب به ولقد أجمع المؤرخون على القول بأن السيدة خديجة (عليها السلام) ورثت عن أبويها جمال الخُلق والخَلق، وساعدت البيئة على إبراز شخصيتها التي تجبر كل من راها على الاحترام والإكبار والتقدير، ولقد قابلت صدمات الحياة في أولى خطواتها على درجات الحياة وأنها في إمكانها تنمية الأموال الطائلة التي في يديها، فأدلت بدلوها في التجارة حرفة قومها، وقد كان ذلك متعارفا في بيئتها ولقد أثرت الحياة الروحية التي عرفت بها هذه البيئة تأثيرا عظيما في حياة السيدة خديجة (ع)، ففي مكة البيت العتيق، وهو المتجه الروحي للناس، فإليه يحجون، ومن بعيد البلاد يسافرون إلى هذه البقعة الطاهرة ، فلقد اتجهت إلى هذا البيت بعقلها وقلبها وكل عواطفها ، فهو مقدس عندها .

منزل السيدة خديجة (ع) في مكة

تصعد عمارة مكة إلى عهد الخليل إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام وكان بنوه يعيشون فى الخيام والمضارب ، حتى عاد قصى بن كلاب من الشام فى القرن الثانى الميلادي، وبنى فيها المساكن والبيوت حول الكعبة ، وقد أخذت تزيد وكانت فى زمنها البعيد خالية من الحضارة بيوتها ساذجة مبنية بالحجارة والطوب اللبن، مسقوفة بجذوع النخل خالية من الزخارف،وفى القرن السادس الميلادي، بدأ السادة من قريش يهتمون ببناء بيوتهم فكانت أحيانا تتألف من طابقين ، ويتخذ لها أجود الأخشاب ، ويكثر فيها الشرفات

(1) سورة ابراهيم، الآية ٣٧
(2) الجمل، مصدر سابق، ص28

، ويغلب منها بيوت صغيرة تلحق بالبيوت للضيوف الذين يردون من داخل البلاد وخارجها ، وكان من أحسن البيوت وأعظمها بيت السيدة خديجة بنت خويلد (عليها السلام).[1]

المبحث الثاني: المكانة الاقتصادية للسيدة خديجة (عليها السلام) وتجارة الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) في مالها

تجارة السيدة خديجة (ع)
إذا كان الرجال قد تباروا في التجارة وفتحوا لها أسواقا في خارج حدود اليمن والشام، في بلاد فارس والعراق، وضموا إلى رحلتيهم رحلات أخرى فقد شاركتهم النساء في التجارة
وكانت المرأة أحيانا تتبارى مع الرجال في التجارة، ولكن لم نجد من سبقت في هذه الحلبة، وتبارت مع السيدة خديجة من النساء بل لقد سبقت الرجال، وكانت فريدة عصرها في هذا المضمار.
لقد اتجهت السيدة خديجة (ع) إلى التجارة ، وكانت سلوتها في الحياة، وكانت مباركة فبارك الله لها ففي مالها وتجارتها حتى كثر المال وذاع الصيت وصار التجار في بلاد الشام وبلاد فارس والروم ينتظرون تجارة السيدة خديجة لما تمتاز به من جودة الصنف واختيار النوع، وشمولها على المطلوب، فزادت ونمت وكثرت حتى قيل: إن عيرها التي تحمل البضائع كانت تعادل عير قريش في حجمها ونفاسة ما اشتملت عليه من بضائع.
كانت تدير تجارتها وهي في برجها العاجي، تصدر أوامرها إلى خدمها ومواليها فيوصلونها إلى من اختارتهم لتجارتها، وإذا اقتضى الأمر مناقشتهم، وكان لابد من ذلك فهي السيدة التي يؤخذ برأيها الناضج، وخبرتها الطويلة، التي زادها قوة ذكاؤها النادر، وما عرفته من أحوال الناس، مما كانت تطلع عليه من أقرب الناس إليها وألصقهم بها من أمثال ابن أخيها حكيم بن حزام بن خويلد.
كانت مستقلة بتجارتها وأموالها، ، و من تختارهم كلهم من ذوي الأمانة في حلهم وترحالهم، فهي حرة في تصرفاتها، تمليها عليها نفس أبية كريمة، وقلب كبير يتفتح للفقير والمحتاج والمسكين، وآمال عريضة صافية تستمد صفاءها من روح طيبة، استولت على تفكيرها، ووجهتها لحياة تحركها إرادة خفية قوية حسبما رسمه لها القدر.[2]
ومع ذيوع صيتها، وتحدث الناس بسيرتها العطرة في داخل الجزيرة وخارجها، لم يحدث أن ذهبت بتجارتها إلى الأسواق في الداخل أو الخارج وإنما كانت تؤجر أناسا يكونون وكلاء عنها في التجارة على أجر معلوم، تعطيهم إياه على مقدار ما يبذلون من جهد في الرحلة يبيعون ويشترون باسمها، ولا شأن لهم في كسب التجارة إنما لهم أجر معلوم يأخذونه كسدت التجارة أو ربحت، وأجرهم مقدر بالأمن أو العمل أو بهما معا أو تختار أناسا يتجرون في المال بعقد بينها وبينهم على أن يكون الربح بينها وبينهم مقسوما بحصص شائعة كالربع أو الثمن أو السدس أو نحو ذلك، وملكيتها قائمة، وإذا خسرت التجارة تكون الخسارة عليها وحدها؛ لأن المال باق على ملكيتها، ويسمى هذا العقد المضاربة أو القراض.
كانت عليها السلام تتمتع بشهرة عظيمة في البلاد التي تصل إليها تجارتها وذلك في الشام والعراق وفارس وبلاد الروم، لعراقة بيتها في الشرف من ناحية، ولاستيلائها من ناحية أخرى على تجارة العطور والديباج والحرير في الهند واليمن وبلاد فارس، وكانت قوافلها التي تصل إلى الألاف من الجمال تنقل التجارة إلى أسواق هذه البلاد وغيرها، فيقبل الأغنياء عليها، بل لقد كان للسيدة خديجة عمال من الروم والغساسنة والفرس في دمشق والحيرة وفى عاصمة كسرى.[3]
كانت تجارة مباركة، تعود على السيدة خديجة بالمال الوافر، والخير الكثير، وكان بيت ضيافتها مفتوح الأبواب للمعوز والمحتاج، وللأقارب والأهل، ومن يأوي إليها من الصديقات، تطعم الجائع، وتكسو الفقير،

(1) الجمل، مصدر سابق، ص26.
(2) أبي زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد، خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم، دار الفكر العربي – القاهرة، 1425ه، ص199.
(3) الأرناؤوط، معروف، سيد قريش، الهيئة العامة السورية للكتاب – دمشق، ج1، ص199

وتنفق على من أناخ عليه الدهر، يأنس إليها القريب، فينال من خيرها، ويسمع لحديثها فتنشرح نفسه، ويسر خاطره .

عمل الرسول وتجارته في أموال السيدة خديجة (ع)

نشأ النبي يتيماً فقيراً، توفي أبوه عبد الله، وهو جنين في رحم أمه آمنة بنت وهب الزهرية القرشية، فقام جده عبد المطلب برعايته وكفالته ولما بلغ الثامنة من عمره الشريف توفي جده عبد المطلب، وقام عمه أبو طالب بكفالته، ورعايته وضمه إلى عياله، وكان أبو طالب كثير العيال قليل المال ولهذا حرص النبي صلى الله عليه وسلم على العمل وطلب الرزق في بواكير عمره الشريف.خرج صلى الله عليه وسلم مع عمه أبي طالب إلى بلاد الشام، وعمره اثنتا عشرة سنة، ورآه راهب يقيم في صومعة قرب بضرى الشام، يدعى بحيرى فتفرس به مخايل النبوة، وتأكد من فراسته عندما رأى خاتم النبوة بين كتفيه الشريفين عليه الصلاة والسلام فأوصى عمه أبا طالب أن يرجع به وحذَّره عليه من مكر يهود وشرهم، فرجع به إلى مكة المكرمة . وعمل برعي الغنم، وصرح بذلك لأصحابه بعد بعثته (ص) مما يدل على شدة تواضعه.

تذكر الروايات التي رواها ابن سعد، وابن السكن، وأبو نعيم، عن نفيسة بنت منية[1] قالت :لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خمساً وعشرين سنة، وليس له بمكة اسم إلا الأمين، لما تكامل فيه من خصال الخير، قال له أبو طالب يا ابن أخي أنا رجل لا مال لي، وقد اشتد الزمان علينا وألحت علينا سنون منكرة، وليست لنا مادة ولا تجارة وهذه عير قومك قد حضر خروجها إلى الشام، وخديجة بنت خويلد تبعث رجالاً من قومك في عيراتها، فيتجرون لها في مالها، ويصيبون منافع، فلو جئتها، وعرضت نفسك عليها، لأسرعت إليك، وفضلتك على غيرك، لما يبلغها عنك من طهارتك، وإن كنت أكره أن تأتي الشام، وأخاف عليك من يهود، ولكن لا نجد من ذلك بداً، وغلب على رسول الله صلى الله عليه وسلم حياؤه وعزة نفسه، فقال لعمه أبي طالب فلعلها ترسل إليَّ في ذلك .فقال أبو طالب :إني أخاف أن تولي غيرك، فتطلب أمراً مدبراً .

فافترقا وبلغ خديجة ما كان من محاورة عمه له، وقبل ذلك ما كان من صدق حديثه، وعظم أمانته، فقالت : ما علمت أنه يريد هذا، ثم أرسلت إليه فقالت :إنه دعاني إلى البعث إليك ما بلغني من صدق حديثك، وعظم أمانتك، وكرم أخلاقك، وأنا أعطيك ضعف ما أعطي رجلا من قومك .ففعل، ثم لقي عمه أبا طالب، فذكر له ذلك. فقال :إن هذا لرزق ساقه الله إليك .

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مع غلامها ميسرة[2]، وقالت خديجة الميسرة : لا تعص له أمراً، ولا تخالف له رأياً[3].

وتهيأ الأمين محمد للأمر الجديد، إنه سيتاجر لخديجة في مالها، لقد اتفقا على أن يسافر لها سفرتين بقلوصين، وبدأ السفرة الأولى، وكانت إلى سوق حباشة، واستعد العمال الحمل السلع التي ستوضع على ظهر الإبل، وحسبت خديجة أن محمدا سيجلس في مكان يتخذه لنفسه، ويترك العمال يقومون وحدهم بالعمل والترتيب حتى ينتهوا منه.[4]

---

(1) كانت من صديقات السيدة خديجة تنسب إلى أمها منية، وهي أخت يعلى بن أمية ذكرها في الصحابة ابن حجر في الإصابة، وابن الأثير في أسد الغابة باسم :نفيسة بنت أمية.

(2) قال الشيخ برهان الدين الحلبي المتوفى سنة ٧٥٣ هـ في كتابه نور النبراس على سيرة ابن سيد الناس لم أر لميسرة ذكرا في كتب الصحابة، والظاهر أنه توفي قبل البعثة ولو أدرك النبي صلى الله عليه وسلم لأسلم .وذكره الحافظ ابن حجر في الإصابة في القسم الأول، وقال :لم أقف على رواية صحيحة بأنه بقي إلى البعثة، فكتبته على الاحتمال، الشامي، محمد بن يوسف الصالحي، سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ج1، ط1، 1414ه، ص219.

(3) الشامي، مصدر سابق، ص٢١٥

(4) أبي زهرة، مصدر سابق، ص201

ولكن محمدا شارك العمال فأشرف على السلع، ووضع كل سلعة في مكانها ونظم الأحمال، وهو يساعد هذا ويشجع ذاك، ويعطف حتى على الإبل، فيربت عليها في حنان وشفقة.[1]

ويقال: إن الناس كانوا يسألون عن تجارة خديجة، لما تمتاز به من حسن الصنف وجودته، وبدأت تظهر مواهب محمد، ومقدرته على البيع وعلى لقاء الناس، فقد اختلف رجل من أهل الشام عليه سمات الوقار، أو تعمد أن يختلف معه، فقال له (احلف باللات والعزى) فرد عليه محمد قائلا: (ما حلفت بهما قط وإلى الأمر فأعرض عنهما) فقال الرجل :القول قولك.

وحدث في هذه الرحلة أن نزل محمد يوما يستظل تحت شجرة بالقرب صومعة راهب يدعى (نسطورا) فلما رآه الراهب سأل ميسرة عنه، فأخبره أنه من أشراف قريش .توسم الراهب الخير في محمد، واطلع على ما فيه من علامات النبوة التي ذكرت في الكتب السماوية، ثم قال: ((إن هذا الرجل نبي من الأنبياء)).

باع محمد كل ما معه، واشترى ما طلب منه شراؤه، وما يعتقد أن الإقبال عليه يكثر في أسواق مكة، واستعد للرجوع وفى شدة الحر، وقت الظهيرة كان الغمام يتجمع ثم يظلل محمدا وهو راكب على بعيره، حتى هيئ للناس أن ملكين كانا يظلانه لأن ذلك لم يكن يحدث لأحد من قبل.

ولما وصلت القافلة إلى وادي مر الظهران بالقرب من مكة، قال له ميسرة :يا محمد انطلق إلى خديجة فأخبرها بما صنع الله لها على وجهك فتقدم كما تقدم غيره من شباب قريش العائدين مع القافلة، وسارت القافلة حتى أناخت خارج مكة، وخرج رجال قريش كعادتهم لاستقبالها، واعتلت نساء قريش أسطح المنازل حتى ترى كل منهن ذوي قرابتها العائدين من الشام عند دخولهم المدينة.

دخل محمد صلى الله عليه واله وسلم ساعة الظهيرة ولم يعد الى السيدة خديجة عليها السلام إلا بعد أن ذهب إلى الكعبة فطاف بها سبعا، ثم دعا ما شاء الله له الدعاء، وحمد الله على الرحلة المباركة، ثم ذهب إلى بيت خديجة، ليخبرها بشأن التجارة، وما أولاه الله من توفيق عظيم، يتمثل فيما أعطاه الله من الربح والبركة كانت خديجة فرحة بكل ما يقص عليها، وقد امتلأ قلبها سرورا وانشراحا، فأجزلت لمحمد العطاء وكافأته ضعف ما كانت قد عرضت عليه من أجر.

(1) الشامي، مصدر سابق، ص ٢١٠ .

المبحث الثالث :إسلام السيدة خديجة عليها السلام وزواجها من الرسول صلى الله عليه واله ومساندتها له

بادرت أم المؤمنين السيدة خديجة عليها السلام إلى الإيمان برسالة النبي صلى الله عليه وسلم والتصديق بنبوته، فهي سباقة الخلق إلى الإيمان والإسلام، رضي الله تعالى عنها وأرضاها. اتفق العلماء على هذه الحقيقة، قال ابن عبد البر :هي أول من آمن بالله عز وجل ورسوله، وهذا قول قتادة والزهري، وعبد الله بن محمد بن عقيل، وابن إسحاق، وجماعة، قالوا :خديجة أول من آمن بالله عز وجل من الرجال والنساء، ولم يستثنوا أحداً.

وذكر ابن أبي خيثمة في أول كتاب المكيين قال: وكان أول من آمن بالله ورسوله فيما قال الزهري وغيره . . . خديجة بنت خويلد ثم روى بسنده أنه صلَّى يوم الاثنين، وصلت خديجة آخر يوم الاثنين، وكذا يقول ابن عباس[1].

وقال ابن الأثير: خديجة أول خلق الله أسلم بإجماع المسلمين لم يتقدمها رجل ولا امرأة. وقال محمد بن كعب القرظي :أول من أسلم من هذه الأمة برسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة عليها السلام وحكى الإمام الثعلبي اتفاق العلماء على ذلك، وإنما اختلافهم في أول من أسلم بعدها وقال النووي: إنه الصواب عند جماعة المحققين .

وقال الواقدي: أجمع أصحابنا أن أول المسلمين استجاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم السيدة خديجة عليها السلام[2].

قال ابن هشام وآمنت به خديجة بنت خويلد، وصدقت بما جاءه من الله، ووازرته على أمره، وكانت أول من آمن بالله ورسوله، وصدق بما جاء فخفَّف به، شيئاً مما يكرهه من رد الله بذلك عن نبيه، لا يسمع عليه وتكذيب له فيحزنه ذلك إلا فرج الله عنه بها إذا رجع إليها، تثبته وتخفف عنه، وتصدقه وتهوّن عليه أمر الناس[3].

ومن الطبيعي أن تكون السيدة خديجة عليها السلام أول من أسلم إذ كانت عليها السلام ترجو ذلك وتتوقعه للنبي صلى الله عليه وسلم ، بسبب كثرة ما رأت من تباشير النبوة وإرهاصاتها،قال ابن حجر: ومن مزايا خديجة أنها كانت تعظم النبي صلى الله عليه وسلم وتصدق حديثه قبل البعثة وبعدها[4].

وبعد أن دخلت في دين الإسلام علمها النبي صلى الله عليه وسلم الوضوء والصلاة كما علمه جبريل عليه السلام، قال ابن هشام جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، خديجة، فتوضأ ليريها كيف الطهور للصلاة كما أراه جبريل فتوضأت كما توضأ لها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم صلى بها رسول الله عليه الصلاة والسلام كما صلى به، جبريل فصلت بصلاته[5].

وهكذا أصبحت خديجة بنت خويلد القرشية الزوجة الأولى للنبي صلى الله عليه وسلم ، وتبوأت مقام أم المؤمنين .

مؤازرة السيدة خديجة للرسول محمد (ص)

ضمت السيدة خديجة عليها السلام إلى دورها السابق الذي قامت به في تثبيت النبي صلى الله عليه وسلم وتبشيره، دوراً جديداً في مؤازرته ومعاونته عليه الصلاة والسلام في تبليغ الدعوة، ومواجهة عناد المشركين وإعراضهم وعدوانهم .

وقفت عليها السلام في هذه المرحلة بجانبه تشد أزره وتواسيه وتقويه وتأسوا جراح نفسه، وما أكثر ما لقي عليه الصلاة والسلام من عناد المشركين وأذاهم، وصبرت عليها السلام وهي بجانبه عليه الصلاة والسلام وصابرت، وساعدته في كل ما تستطيع، وبذلت نفسها ومالها في سبيل تبليغ الدعوة إلى الناس .

عن ابن عباس رضي الله عنه قال : كانت السيدة خديجة بنت خويلد أول من آمن بالله ورسوله وصدق محمداً فيما جاء به عن ربه وآزره على أمره، فكان لا يسمع من المشركين شيئاً يكرهه من رد عليه وتكذيب له إلا فرج الله عنه بها تثبته وتصدقه وتخفف عنه، وتهوّن عليه ما يلقى من قومه[6].

---

(1) القرطبي، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري، الاستيعاب في معرفة الاصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م، ج4، ص1820

(2) الشامي، مصدر سابق، ج1، ص101.

(3) ابن هشام، مصدر سابق، ص224.

(4) العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت، ج7، ط1، 1415ه، ص603.

(5) ابن هشام، مصدر سابق، ص227

(6) القرطبي، مصدر سابق، ص 1820

كانت عليها السلام وزيرة صدق للنبي صلى الله عليه وسلم على الإسلام، وكان يسكن إليها[1].

كانت محنة النبي الا الله والمسلمين في سنوات المقاطعة الظالمة الثلاث أقسى المحن التي مرت بها الدعوة الإسلامية في مكة المكرمة قبل الهجرة، وكان للسيدة خديجة عليها السلام دور كبير في تخفيف المحنة، وفي مواساة النبي والمسلمين في إثنائها .

وخبر هذه المقاطعة كما رواه كتاب السيرة النبوية كالآتي :

إن قريشاً لما رأت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين هاجروا إلى الحبشة، قد نزلوا بلداً أصابوا فيه أمناً وقراراً، وأن النجاشي قد منع من لجأ إليه منهم، وأن عمر بن الخطاب قد أسلم، وكان رجلاً ذا شكيمة لا يُرام ما وراء ظهره امتنع به أصحاب رسول الله وبحمزة عم النبي ، وجعل الإسلام يفشو بين القبائل، فأجمعوا واتفق رأيهم على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقالوا: قد أفسد علينا أبناءنا ونساءنا .فقالوا لقومه :خذوا منا دية مضاعفة، وليقتله رجل من غير قريش، ويريحنا وتريحون أنفسكم، فأبى قومه بنو هاشم من ذلك، وظاهرهم بنو المطلب بن عبد مناف فلما عرفت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد منعه قومه، أجمعوا على مقاطعة بني هاشم وبني المطلب، وكتبوا كتاباً تعاقدوا فيه ألا يُنكحوهم، ولا ينكحوا إليهم، ولا يبيعوهم شيئاً، ولا يبتاعوا منهم، ولا يقبلوا منهم صلحاً، ولا تأخذهم بهم رأفة، حتى يسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتل.

ثم علقوا صحيفة كتاب المقاطعة في جوف الكعبة توكيداً على أنفسهم، وقطعوا عن بني هاشم وبني المطلب الأسواق، ولم يتركوا طعاماً ولا إداماً ولا بيعاً إلا بادروا إليه واشتروه دونهم>وانحاز أبو طالب إلى شِعْب له في مكة، وانحاز معه بنو هاشم وبنو المطلب إلا أخاه أبا لهب، وكان أبو طالب طول مدتهم في الشعب يأمر النبي صلى الله عليه وسلم ألا ينام في فراشه خوفاً عليه ويأمر أحد أبنائه أن ينام على فراش رسول الله[2].

واستمرت المقاطعة ثلاث سنوات عاني فيها المسلمون من قلة المؤن والطعام حتى كان عندما يقوم من الليل إلى الصلاة يسمع بكاء الأطفال من الجوع.

ووقفت السيدة خديجة عليها السلام بجانب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وانضمت إليه في شِعب أبي طالب، وتحملت معه ما تحمل من الجهد والعناء والجوع، وبذلت عليها السلام مالها لتؤمن ما تستطيع من الطعام للمسلمين في خلال سنوات المقاطعة، واستعانت لهذا الأمر بابن أخيها حكيم بن حزام رضي الله عنه وكان حينئذ لا يزال على شركه لم يسلم بعد[3].

فكان يشتري الطعام ويرسله إلى عمته السيدة خديجة ليلاً، ولقيه في إحدى المرات أبو جهل، ومع حكيم غلام يحمل قمحاً، يريد عمته خديجة بنت خويلد، وهي عند رسول الله ، ومعه في الشعب، فتعلّق به وقال : أتذهب بالطعام إلى بني هاشم؟ والله لا تبرح أنت وطعامك حتى أفضحك بمكة .

فجاء أبو البختري بن هشام بن الحارث بن أسد، فقال : ما لك وله ؟ فقال : يحمل الطعام إلى بني هاشم، فقال أبو البختري : طعام كان لعمته عنده بعثت إليه، أفتمنعه أن يأتيها بطعامها؟ خل سبيل الرجل، فأبى أبو جهل حتى نال أحدهما من صاحبه، فأخذ أبو البختري لَحْي بعير فضربه به، فشجّه، ووطئه وطئاً شديداً[4].

ومرت سنوات المقاطعة الظالمة وهلك فيها من هلك من أطفال المسلمين قال ابن عباس رضي الله عنهما، وهو ممن ولد في الشعب حُصرنا في الشعب ثلاث سنين، وقطعوا عنا الميرة حتى إن الرجل ليخرج بالنفقة، فما يُبايع حتى يرجع حتى هلك من هلك[5].

وسلّط الله سبحانه الأرضة على الصحيفة الظالمة، فأكلت أو لحست ما في الصحيفة من عهد وميثاق، وقام بعض رجالات قريش من المشركين فسعوا في نقض الصحيفة، بعد أن رأوا شدة ما يعاني المحصورون في شعب أبي

---

(1) الشامي، مصدر سابق، ج2، ص571.

(2) الشامي، مصدر سابق، ج2، ص504.

(3) كان تاجراً كريماً، ولد في الكعبة قبل عام الفيل بثلاث عشرة سنة، وعاش مائة وعشرين سنة، ستين في الجاهلية، وستين في الإسلام أسلم بعد فتح مكة، وكان إذا حج في الإسلام يهدي مائة بدنة وألف شاة ويعتق مائة عبد كرّمه النبي صلى الله عليه وسلم عندما فتح مكة فأمر المنادي أن يقول : ومن دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن، وأعطاه من غنائم حنين وقال له : إن هذا المال خَضِرةً حُلْوَةٌ، فمن أخذه بطيب نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يُبارك له فيه، وكان كالذي يأكل ولا يشبع واليد العليا خير من اليد السفلى، فقال حكيم : والذي بعثك بالحق لا أرزأ أحداً بعدك شيئاً أبداً، فلم يقبل عطاءً حتى مات رضي الله عنه، الحديث في صحيح مسلم.

(4) ابن هشام، مصدر سابق، ج2، ص5

(5) الشامي، مصدر سابق، ج2، ص503

طالب، وكان قد أخبر عمه أبا طالب بما فعلت الأرضة بالصحيفة، وأخبر أبو طالب وجوه المشركين بذلك، وطالبهم بإحضار الصحيفة، ولما أحضروها ونظروا فيها وجدوها كما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد ساعد هذا على نجاح المساعي لإنهاء المقاطعة والخروج من الشعب .

وفاة السيدة خديجة عليها السلام

ولا بد أن السيدة خديجة عليها السلام واست رسول الله الا الله وحاولت أن تخفف من حزنه على عمه أبي طالب كما هو حالها وشأنها معه في كل ما يعرض ،له ولكن مواساتها انقطعت بوفاتها هي أيضاً عليها السلام، إذ وافاها أجلها بعد موت أبي طالب بزمن قصير .

روى الحاكم أن موتها بعد موت أبي طالب بثلاثة أيام.

وروى ابن الجوزي عن حكيم بن حزام وثعلبة بن صعير أنه كان بين وفاة أبي طالب، ووفاة خديجة، شهران وخمسة أيام.

توفيت عليها السلام لعشر خلون من رمضان، وهي بنت خمس وستين سنة، وعن حكيم بن حزام أنها توفيت سنة عشر من البعثة بعد خروج بني هاشم من الشعب، ودفنت بالحجون، ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبرها ولم تكن الصلاة على الجنازة شرعت[1].

وتتابعت الأحزان على رسول الله صلى الله عليه وسلم بوفاتها عليها السلام، وعُرف العام الذي توفيت فيه بعام الحزن.

لمصادر والمراجع

أولا: القرآن الكريم

1. ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري،- / أسد الغابة في معرفة الصحابة، ت: علي محمد معوض .
2. البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، (دار ابن كثير، دار اليمامة) – دمشق، 1414ه – 1993م، ط5.
3. البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب، تاريخ بغداد، تحقيق الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، 1422ه – 2022م، ج9.
4. البغدادي، عبد اللطيف، فاطمة والمفضلات من النساء، مؤسسة اهل البيت للنشر والتوزيع.
5. ابن بطوطة، ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي، رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الأسفار، دار الشرق العربي.
6. الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، دار المعارف – القاهرة – مصر.
7. الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، 1422ه – 2002م، ج9.
8. ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1412ه – 1992م، ط2، ج2.
9. الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، المحقق: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ج2، ط2، 1413ه.
10. الأرناؤوط، معروف، سيد قريش، الهيئة العامة السورية للكتاب – دمشق، ج1.
11. الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة بن الأزرق الغساني، أخبار مكة وما جاء فيها من الأثار، ت: رشدي الصالح ملحس، دار الأندلس للنشر – بيروت، ج1.

(1) الشامي، مصدر سابق، ج2، ص571.

12. الحلبي، ابو الفرج، علي بن إبراهيم بن أحمد، السيرة الحلبية إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، دار الكتب العلمية – بيروت، ط2، ج1.
13. ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري المعروف، الطبقات الكبرى، ت: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ج8، ط1، 1990.
14. ابن سيد الناس، محمد بن محمد بن محمد بن أحمد، عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، دار القلم – بيروت، 1414ه – 1993م، ط2، ج1.
15. أبو شُهبة، محمد بن محمد بن سويلم، السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، دار القلم – دمشق، 1427ه، ط8، ج1 .
16. الطبري، أبو جعفر، محمد بن جرير، تاريخ الطبري تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف – مصر، 1387ه – 1967م، ط2، ج2.
6 ابن عساكر الدمشقي، محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الكتبي الداراني، عيون التواريخ، دار الثقافة – بيروت، 1419ه – 1996م، ط1، ج1.
7 العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت، ج7، ط1، 1415ه.
8 أبو الفرج بن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد البغدادي، الوفا بأحوال المصطفى، تحقيق: محمد زهري النجار، المؤسسة السعيدية – الرياض، ج1 .
9 القسطلاني، أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين، المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، المكتبة التوفيقية، القاهرة- مصر، ج1 .
10 القرطبي، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري، الاستيعاب في معرفة الاصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م، ج4.
11 ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير بأبو الفداء، عماد الدين، البداية والنهاية، دار الكتب العلمية بيروت، ج2.
12 ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، مختصر تاريخ دمشق، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق – سوريا، 1402ه – 1984م.
13 النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف، تهذيب الأسماء واللغات، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ج1.
14 النيسابوري، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري، صحيح مسلم، تحقيق: أحمد بن رفعت بن عثمان حلمي القره حصاري ، دار الطباعة العامرة – تركيا، 1334ه، ج7 .

المراجع

1- أبي زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد، خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم، دار الفكر العربي – القاهرة، 1425ه.
2- الجمل، إبراهيم محمد حسن، ام المؤمنين خديجة بنت خويلد المثل الأعلى لنساء العالمين، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة.
3- جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الساقي- بيروت، 1422ه – 2001م، ج 4.
4- الحسني، السيد نبيل، خديجة بنت خويلد أمة جمعت في أمرأة، اصدار قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة، ج1.
5- الدِّيار بَكْري، حسين بن محمد بن الحسن، تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، دار صادر – بيروت، ج1.
6- السهيلي، الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق عمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، ج1، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.
7- الشافعي، محمد بن عمر بن مبارك الحميري الحضرمي، حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار، تحقيق: محمد غسان نصوح عزقول، دار المنهاج – جدة، ج1، ط1، 1419ه.

8- الشامي، محمد بن يوسف الصالحي، سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ج1، ط1، 1414ه.
9- الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت – لبنان، ط1،ج10.
10- العاملي، السيد جعفر مرتضى، الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت – لبنان، 1415ه – 1995م، ط4، ج2.
11- عبد القادر، احمد عطا، لماذا بعث الرسول الله في مكة ولم يبعث في غيرها من البلدان، دار العلوم للطباعة – القاهرة، 1979م.
12- العصامي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود- علي محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت، 1419ه – 1998م، ط1، ج1.
13- العمري، ياسين بن خير الله بن محمود بن موسى الخطيب، الروضة الفيحاء في أعلام النساء، ج ١.
14- الغرسي، ابن قدامة المقدسي محمد صالح، التبيين في انساب القرشيين، المجمع العلمي العراقي، 2008.
15- القرشي، باقر شريف، حياة السيدة أم المؤمنين خديجة.
16- القزويني، زكريا بن محمد بن محمود، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر – بيروت، 2007.
17- الكجوري، الشيخ محمد باقر، الخصائص الفاطمية، تحقيق سيد علي جمال اشرف، ج1.
18- الكردي، محمد بن حسن الآلاني، رفع الخفا شرح ذات الشفا في سيرة النبي و من بعده من الخلفا، عالم الكتب – مكتبة النهضة العربية، ط1، ج1، 1407ه – 1987م.
19- المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، مؤسسة الوفاء بيروت – لبنان، ج 91.
20- المعافري، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، 1375ه – 1955م، ط2، ج1.